

المهدوية و العصمة و أثرها على خلفاء الموحدين ((دراسة نقدية))

د. عبد الكريم خيطان / قسم التاريخ كلية التربية / جامعة كربلاء

الخلاصة

- من خلال هذه الدراسة المستفيضة للمذهب التومرتي ولأعمال خلفاء الدولة الموحدية ومدى إيمانهم بالمذهب التومرتي ، فقد توصلت الدراسة إلى :
- ١- أن كلام ابن تومرت يشوبه غموض ويشبه أساليب الكهان و السحرة ، وربما هو متصوف و كلامه فيه شطحات صوفية ، فهو يحير في أمر عقيدته ومذهبه في الفقه و فكره الديني .
 - ٢- أثبتت الدراسة أن ابن تومرت لكي يكون صاحب مذهب و مجتهد ، أن يعطي الأسباب في حقه في التفسير الشخصي وان لا يقبل كنصوص أساسية غير القرآن الكريم ، وفي شروط أخرى الحديث .
 - ٣- ان ادعاه بالمهدويه و العصمة ، كانت أو هام نفسه ، أربها السيطرة على عقول العامة من الناس ، فلفق الأساطير و الأكاذيب مع أصحابه . فتم له خداع الناس و امنوا بفكرته .
 - ٤- كان لابن تومرت رؤى سياسية للدولة الإسلامية يسندها الى أساس من الدين فأتخذ هذه الأسباب ذريعة للوصول إلى هدفه ، وقد وصل بقوة و عزيمة إلى كثير مما أراد .
 - ٥- أن ابن تومرت لا يبالي أن يكذب و يزيّف الأحاديث النبوية الشريفة ، و يخدع الناس و كان قليل الاكتراث بالدماء ، فعرض الكثير للقتل دون مبرر ، وكان يستغل عامة الناس فيه ، و اعتقادهم بأنه إمام معصوم كما قال .
 - ٦- عمد ابن تومرت إلى محاربة تسلط الفقهاء ، باعتماده توزيع السلطات و المسؤوليات على الطبقات التي شكلها ، و لعل سيطرة الفقهاء و مكانتهم في دولة المرابطين و دورهم في رسم السياسة العامة للدولة جعلته يبتكر توزيع المسؤوليات .
 - ٧- توصلت الدراسة إلى أن الدعاية الدينية و الحماس الكبير الذي أوجده ، كان له أعظم نصيب في تأسيس ألدوله الموحدية و مد سلطانها على كافة أنحاء المغرب .
 - ٨- أثبتت الدراسة أن خليفة ابن تومرت ، عبد المؤمن بن علي ، انحرف عن الإمامة منذ البداية ، وكانت له خطط رسمها لتوطيد دعائم ملكه و جعلها في يد قومه الجزائريين و جعل الحكم وراثيا لأولاده ، وهذا مخالف لأراء ابن تومرت .
 - ٩- كان خلفاء الدولة الموحدية يبدون شكوك في صحة إمامة المهدي و عصمته ، لكنهم في البداية يقولون بها من اجل بقائهم في السلطة وإضفاء الشرعية على خلافتهم الى أن أعلنوها صراحة بأن ابن تومرت ليس معصوم ولامهدي.

كلمة البدء

تكلما في بحث سابق عن نسب وسيرة المهدي بن تومرت ، و رحلته إلى المشرق الإسلامي ، و دخوله العراق و لقاءه جملة من العلماء و استفادته علماً و واسعاً ، و التقى فيما زعموا الإمام أبا حامد الغزالي ، و أئمة الأشعرية من أهل السنة ، فاخذ عنهم و استحسنت طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية و الذب عنهم بالحجج العقلية الدامغة في صد أهل البدعة ، و ذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات و الأحاديث . في المشرق الإسلامي و طن ابن تومرت نفسه على دراسة علم أصول الفقه ، الذي كان أئمة المالكية المغاربة لا يباليون به ، إذ كان همهم التفرغ إلى فروع الفقه .

عند عودة ابن تومرت إلى المغرب العربي . بدأ أمراً بالمعروف و ناهياً عن المنكر ، إذ لا يرى منكراً من آلة الملاهي أو أواني الخمر إلا وكسرها ، فتسامع به أهالي البلاد فجاءوا إليه و قرأوا عليه كتب من أصول الدين . ثم بدأ ينهى الناس عن الإقراق الزرارية (النعال) و عمامات الجاهلية ، و لباس الفتوحيات للرجال و النساء ، ولكنة أباح الطبيب للرجال و النساء أسوة بما كان يفعله الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحدود التي لا أتم فيها . اعتبر ابن تومرت نفسه صاحب رسالة ، و هي رسالة الإصلاح الديني ، و كان يقارن باستمرار بين ما شاهده و سمعه و درسه في المشرق الإسلامي ، و بين ضحالة الإسلام و سذاجته في المغرب ، و خصوصاً في موطنه المغرب الأقصى منتهاً إلى أن الوضع هناك ينبغي تغييره ، و انه سيكون هو الأداة لذلك التغيير .

أن النزاع الفقهي قد عاد إلى ظهور خصم خطير حمل راية الثورة على الحكم المرابطي ، فالى جانب مذهب مالك ، طغت على المغرب من أقصاه إلى أقصاه موجة شديدة من التعصب تذهب إلى تفسير جميع الآيات القرآنية المجسمة للذات الإلهية تفسيراً حرفياً ، وتعد كل مناقشة فيها بدعة . وقد شن ابن تومرت حملة أصلحية في المغرب ، دعى فيها إلى تحرير العقول من الجمود و أتباع المناهج المنطقية بالتفكير ومحاربة البدع و الضلالات التي يبثها الخرافيون و المشعوذون .

كان ابن تومرت خبيراً إلى حد ما بأصول الدين و علم الكلام لدراسته الفقه على المذاهب الإسلامية ، و باحث علماء الدين بحثاً دقيقاً في كثير من الأصول و العقائد ، و لهذا كان يتوافر على الأسلحة الكافية لبث دعوته و إقناع الناس بقبولها ، وهكذا وضع مذهباً جديداً بين المذاهب ، و قد استمدت عناصر هذا المذهب من مختلف الملل و المذاهب الفقهية ، و لكنه يتسم في مجموعة بطابع السلفية التي تدعو إلى الرجوع للكتاب و السنة سواء في العقائد أو الأحكام . فلا نجد بين الفقهاء المسلمين جميعاً شخصاً كأبن تومرت ، خلط بين المذاهب هذا الخلط الغريب الذي يتجلى في مذهبه و آرائه و أفكاره ، فهو يقول بالإمامة و بعصمة الإمام علي مذهب الشيعة ، و يقول بالظاهرية و يكره التأويل على رأي ابن حزم ، و يتشدد في العقيدة تشدد الحنابلة و يفهم التوحيد فهم المعتزلة ، و يذهب في كثير من المسائل مذهب الأشاعرة . و كان عالماً متملياً من علوم الحديث و أصول الفقه و أصول الدين و كان ينهي عن التقليد و قراءة كتب الرأي ، مجتهداً متبحراً مصيباً في كل الأمور

أراد ابن تومرت أن ينشر مذهبه على نطاق واسع ، فكان كثيراً ما يستعمل لهذا الغرض اللغة البربرية ، لان اللغة العربية كانت قليلة الانتشار في المغرب الأقصى آنذاك ، وإنه كان يؤلف باللغة البربرية دائماً رسائل صغيرة أو تأليف كما انه عرف كيف يتملق الوعي القومي البربري ، فاستحدث الأذان للصلاة باللسان البربري . كان دستور ابن تومرت الكتاب و السنة من غير انتماء إلى أي مذهب من المذاهب الإسلامية حر غير خاضع لسلطان ، و ألف كتاباً في العقيدة و آخر في التوحيد ، و نهج لمن معه طريق الأدب بعضهم مع بعض ، و الإقتصار على لبس الثياب قليلة الثمن .

و بعد توضيح هذا الشروع من ابن تومرت في تأسيس مذهب ، سنتناول في هذا البحث تبلور هذا المذهب ، و إدعاءات ابن تومرت في انه المهدي المنتظر و انه معصوم ، و نخوض في مدى التزام قادة الدولة التي أسسها بهذا المنهج .

تبلور المذهب التومرتي

يمكن القول بان ابن تومرت كان من المتصوفة ، إذ أن التجربة الصوفية هي في جوهرها محاولة إنسانية جريئة للتسامي ، تتوسل بها الصفاة من اجل اختراق عالم الواقع و ما فيه من تنوع . هذا الواقع الذي ينتج عنه قلق و توتر نفسي و فقدان الثقة بالمحسوسات و التحقق في صورة أو بنوع من التأحد و الاتصال بعالم الغيب و مشاهدة جلال الألوهية و مجالها المطلق الذي لا يخضع بحكم طبيعته للتقييدات ، و ما ينتج من هذا الاتصال من طمأنينة قلبية و راحة نفسية كما يزعم أهل التصوف و نصل إلى أن هذه التجربة مركبة و معقدة ، و هي كلما تزداد توتراً و عنفواناً و شدة كلما كان انضج و أكمل ، فهي طريق مملوء بالمخاطر و الأفات ، و مشروع إنساني متفتح بحكم طبيعته على الاعتزاز بالنفس و سوء التقدير ، تختلط مساحته العريضة الواسعة إلى الأوهام و الكرامات و تتلاقى في رجالها و ساوس النفس الأمانة بالسوء مع خواطر النفس الكاملة التي بلغت ذرى مقامات الكشف و المشاهدة لهذا كان من الطبيعي أن تسوق التجربة في أحيان كثيرة إذا ما أطلق لها العنان إلى صور من الاعتقادات التي لا يمكن التوفيق بينها و بين الشريعة الإلهية المنزلة ، و منها كثرة الذين يدعون الصفاء و الإلهام . ومنهم المهدي ابن تومرت .

و لإثبات حقيقة تصوف ابن تومرت ، فأنة كان يلبس العباة المرقعة و له قدم في التقشف و العبادة (١) . اطلع المهدي بن تومرت على كتاب الجفر من علوم أهل البيت ، و يقال انه عثر عليه عند الشيخ أبا حامد الغزالي ، و أنه رأى فيه صفة رجل يظهر في المغرب الأقصى بمكان يسمى السوس ، وهو من ذرية رسول الله (صلى الله عليه و اله وسلم) يدعو إلى الله ، يكون مقامة و مدفنه بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه (ت ي ن م ل) و رأى أيضا باستقامة ذلك الأمر و استيلائه و تمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه (ع ب د م و م ن) و يجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة ، فأوقع الله سبحانه و تعالى في نفسه انه القائم في الأمر و أن أوانه قد أرف ، فما كان ابن تومرت يمر بموضع الأ و يسأل عنه ، و لا يرى أحداً إلا أخذ اسمه و تفقد حليته (٢) .

ومن خلال تحليل هذه الرواية ، نجدها مشكوك في صحتها ، إذ جاء فيها يقال وخالية من السند أولاً والأمر الثاني إن الرواية تخالف الأحاديث النبوية الشريفة حول المهدي و خروجه في مكة والتي سنوضحها في ثنايا البحث . و لا بد من القول هنا ، أن العلم بلا تقوى خطر ، و أن الاتجاه الصحيح للعلم يحدده الله سبحانه و تعالى عبر برامج المنزلة على أنبيائه و رسله . لذلك لأنجد أية أو رواية تذكر العلم و تعطي أهمية للعلماء ألا و تشتت أن يكون هؤلاء العلماء في الخط الصحيح . وكم من الأحاديث نجد فيها أنها تحذر من خطورة علماء السوء و تصف لنا عذابهم يوم القيامة لأن علماء السوء يستغلون العلم من اجل تكريس شهواتهم و تحقيق مآربهم الشخصية . فمن غير المعقول إن العلماء و المؤرخون الذين نقلوا هذه الرواية لم يطلعوا على الأحاديث الشريفة بشأن المهدي المنتظر ، و أنهم لم يفتقدوا هذا الإدعاء ، و يرسولونه كأنه من المسلمات .

في سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م وصل المهدي بن تومرت إلى مدينة بجاية فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، فوصل أمره إلى و الي بجاية العزيز بن الناصر ، فأمره بالخروج . فرحل من بجاية إلى رباط خارجها و على القرب منها يسمى رباط ملالة . ولما كان حافظاً و عالماً بالمذاهب ، عمر مجلسه بالطلبة الصالحون ، و تعلق به هناك عبد الواحد بن عمر التونسي من فقهاء أفريقيا ، وعند موت التونسي برباط تلمسان ، اتفق أصحابه المواظبون لمجلسه أن يجلبوا الي مكانه ابن تومرت ، فوجهوا إليه عبد المؤمن بن علي^(٣) . في حين يقول المراكشي ، أن عبد المؤمن بن علي لقيه في ملالة و هو آذ ذلك متوجه إلى المشرق الإسلامي في طلب العلم ، فلما رآه ابن تومرت عرفه بالعلامات التي كانت عنده ، وكان ابن تومرت أوحده عصره في علم خط الرمل ، مع انه و قع بالمشرق على ملاحم عمل المنجمين وجفور من خزائن بني العباس ، أوصله إلى ذلك كله فرط اعتنائه بهذا الشأن و كان يحدث به نفسه^(٤) .

وعند النظر في الروايتين ، فأننا نجد فيها الاختلاف ، و يبدو أن سببه ناتج عن كثرة الدعايات و الأكاذيب التي اختلقها ابن تومرت و أصحابه المقربين . و الدليل على ذلك أن ابن القطان و المراكشي هما مؤرخي الدولة الموحدية التي أسسها ابن تومرت ، و الفرق بين وفاة الأول عن الثاني تسعة عشر سنة ، وهي قليلة نسبياً و قريبة بين المؤرخين ومع ذلك نجد اختلاف بينهما في نقل الوقائع التاريخية .

و من الجدير ذكره هنا ، أن ابن تومرت سأل عبد المؤمن عن مقصده فأخبره انه راحل إلى الشرق لطلب العلم ، فقال له ابن تومرت أو خير من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : شرف الدنيا والآخرة ، تصحبي وتعيني على ما أنا بصدده من إمتانت المنكر و أحياء العلم و إخماد البدع ، فإجابة عبد المؤمن إلى ذلك^(٥) .

و ينقل لنا ليفي برفنسال رواية للبيدق- رفيق ابن تومرت- ، عن مقابلة الأخير لعبد المؤمن بقوله ((وما أن شاهد الأستاذ و تلميذه الجديد حتى عرف فيه المختار فقرية منه و أنبأه بأسم قريته و اسم أبيه ، فتعجب الناس من ذلك تعجباً بالغاً ثم ختم الفقيه كلامه بقوله : العلم الذي تريد اقتباسه في المشرق قد وجدته في المغرب))^(٦) . و لا عجب من ذلك ، فإن المغاربة كانوا يؤمنون بالسحر و الأساطير و الخرافات منذ قديم الزمان ، وكما تشير الروايات التاريخية إلى هذا الخصوص.

غادر ابن تومرت إلى المغرب الأقصى و معه عبد المؤمن بن علي ، و لحق بمدينة و انشريس ، صحبه فيها البشير و صار من جملة أصحابه . بعد ذلك غادرها إلى تلمسان و قد تسامع الناس به ، فاحضره قاضي المدينة ابن صاحب الصلاة و وبخه على مذهبه ذلك و خلافة لأهل بلاده ، و ظن انه من العدل نزعه عن ذلك لكن ابن تومرت لم يأبه لقوله و استمر في طريقه إلى فاس و مكناس و نهى بها عن بعض المنكرات ، فأوقع به شعبها و أوجعوه ضرباً فلحق بمراكش و أقام بها أخذاً في شأنه و لقي علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في المسجد الجامع في صلاة الجمعة ، فوعظه و أغلظ له القول^(٧) .

أغرى أهل مراكش علي بن يوسف تاشفين بابن تومرت ، و قد أغراه الفقيه مالك بن وهيب في قتله ، وكان الكهان يتحدثون بأن ملكاً كان في المغرب ، في أمة من المغرب و يتغير فيه شكل السمكة لقرن الكوكبين العلويين و السيارة تقتضي ذلك في أحكامهم ، وكان الأمير يتوقعها فقال مالك : احتفظوا بالدولة من الرجل فإنه صاحب القرآن و الدرهم المربع في كلام بسجع سوقي ((اجعل له على رجله كبلًا . ولنلا يسمعك طبلًا و اظنه صاحب الدرهم المربع)) فطلبه الأمير ، ففقدته و سرح الخيالة في طلبه ففاتهم^(٨) و قد خلصه من ألقاء القبض عليه بعض تلاميذه المحبين له ، إذ أن ابن تومرت بدأ يعلم الخاصة من طلبته بما يريد ، و أخذ يطعن بدولة المرابطين ، و أنهم كفره مجسمون ، وأنه هو الإمام المهدي المنتظر ، فبايعه على ذلك ألف و خمسمائة رجل ، و قبل وصول الذين أرسلهم علي بن يوسف بن تاشفين ، جاء بعض تلامذته حتى قربوا منه و نادوه بصوت ضعيف ((أن الملائكة يأترون بك ليقتلوك))^(٩) ، فأنته ابن تومرت و خرج على وجهه إلى أن وصل إلى تينمل في سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م^(١٠) .

كان الهدف الأساس الذي اتخذه المهدي بن تومرت هو أعداد مختلف التنظيمات و العمل المشترك فيما بينها من اجل استلام السلطة . فرتب الأمور على الشكل التالي : ١- أهل الدار : و هم الذين كانوا بصحبته و هم الذين يخدمونه في داره و يختصون به في ليله ونهاره ٢- أهل العشرة : و هم مؤيديه الأوائل الذين تبعوه من المغرب إلى تينمل ، وكان اشهرهم عبد المؤمن بن علي ، و هؤلاء ظلوا طيلة الشطر الأول بأكمله من تاريخ الموحديين رؤساء الحركة الحقيقيين ٣- مجلس الخمسين : و مهمتهم مناقشة المسائل العسكرية و السياسية ٤- مجلس السبعين : و هو مجلس أوسع مفتوح لإفراد اقل أهمية من السابقين ٥- الطلبة ٦- الحفاظ : و هم صغار الطلبة ٧- قبائل هرغ و هنتان و غيرها ٨- أهل تينمل ٩- الجند ١٠- الإحداث الصغار الأميون . و ان هذا التنظيم كان تجديداً من ابن تومرت ، و ما كان تقليداً محلياً ، أو نظرياً و عملياً قد مورس من قبل^(١١) . و لكل صنف من هذه الأصناف مرتبة لايتعادها إلى غيرها ، و قد أخذهم في تارك امتثال أمر من يسمعه بالقتل ، و بايعوه على هذا ، و من لم يحضر أدب فإن تهادى قتل ، و كل من لم يحفظ الجزء المكلف بحفظه من القرآن الكريم عزر بالسياط ، و كل من لم يتأدب بما أدب به ضرب بالسوط المرة و المرتين ، فإن ظهر منه عناداً و ترك امتثال الأوامر قتل ، و من داهن على أخيه أو أبيه أو ابنه قتل^(١٢) .

استقر المهدي بجبل سوي سنة ٥١٤ هـ / ١١٢٠ م ، و دعى المصامدة إلى مبايعته على التوحيد و قتال المجسمة ، و خطب فيهم ((أن حركتنا أيها المسلمون حركة دينية قبل كل شيء و ان الله عند رأس كل قرن يبعث ممن يجدد لهذه الأمة أمور دينهم و شؤون دنياهم ، و لا بد في العصر حسب ما نتمناه من أمام مهدي يقود سفينة المسلمين نحو

شاطئ النجاة)) فكان جواب القوم ((أنت الإمام المهدي دون شك ولا ريب ، لأن أوصاف المهدي المنتظر لا نراها إلا في شخصك ، حيث جنت مصلحاً وإماماً مرشداً وقائداً شجاعاً ومفكراً ومجدداً فأبتسم وقال الحمد لله و سرعان ما بايعوه))^(١٣) . وفي رواية أخرى لأبن القطان ، أن المهدي عندما استوثق من قبيلته ومنعة موضعه لأنه كان لا يصل إليه أحد إلا عن طريق يسيرها لإراكباً بعد راكب فيدخلها اقل عصابة من الناس ، ولما فيه من التوعد في نفسه قصد إلى قرية ايجيليز و تحتها ركن يستظل تحته على الماء ، فعند اجتماع أصحابه إليه في ذلك المكان قام فيهم خطيباً فقال ((الحمد لله الفعّال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لاراد لأمره و لا معقب لحكمه ، و صلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت جوراً وظلماً ، يبعثه الله إذا انسلخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه المغرب الأقصى ، و زمنه اخر الزمان ، وإسمه اسم النبي عليه الصلاة و السلام ، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى و ملائكته الكرام المقربون عليه و سلم ، وقد ظهر جور الأمراء و امتلأت الأرض بالفساد ، و هذا آخر الزمان ، و الاسم اسم ، و النسب النسب ، و الفعل الفعل))^(١٤) . وهكذا فكر ابن تومرت في بناء دولته و مذهبه علي أسس الأمامة المهديّة و العقيدة الموحديّة فتبلور مذهبه .

سمى المهدي من أطاعوه بالموحدين ، ووضع كتاباً يحفظونه و يتدارسونه ، ذكر انه لا ينفع مؤمناً إيمانه ما لم يقيم على ذلك ، و لازال يمدحهم بمكره إلى أن تمكن من قلوبهم فصار عددهم أكثر من عشرين ألفاً و بايعوه على الموت (١٥) وكان عبد المؤمن بن علي يعتقد اعتقاداً ثابتاً بأن ابن تومرت هو الإمام المهدي المعصوم الذي بعثه الله لإنقاذ الإسلام و قيادته^(١٦) .

كان ابن تومرت يعمل في وسط قليل الثقافة ، و قراءته جعلته يألف فكرة المهدي ، فلم يساوره أي تردد في أن يدمج أفكاره في مذهبه ، و لما كان لهذا المهدي أن يكون من ذرية فاطمة (عليها السلام) فإنه اصطنع لنفسه أو اصطنعت له شجرة نسب تمت إلى الإمام علي (عليه السلام) ألحقته بالأسرة الادريسية في الجنوب المراكشي^(١٧) أثرت هذه الفكرة المهديّة على أعداد كبيرة من الناس ، و من المؤكد أنها قامت بدور مهم فيما أحرزه من نجاح متزايد ، لأن الداعية كان كذلك من أبناء البلاد ، و استطاع بمعرفته الوثيقة للوضع و السكان و ذكائه و ذهنه المدبر للمكائد ، أن يستغل أي وضع و خصوصاً الوضع المحلي بقصد إقحام نفسه لينال الخطوة لدى مواطنيه . و من ابرز الصفات التي يتحلى بها ابن تومرت قدرته على أن يجمع المعلومات العقيدية التي اكتسبها من المشرق ، و مثالية الإصلاح الديني الذي قام به و الذي كرس نفسه له و فهمه العميق لبلاد و لد فيها^(١٨) .

أن الشعوب غالباً تؤمن بالعاطفة و القلب لا بالعقل و الجدل ، و الموحدون أنفسهم لم يلتفتوا حول ابن تومرت بطريق الجدل الكلامي ، بل بطريق فكرة المهدي المنتظر التي كثيراً ما يرددها العامة ، و يبتنون معها ظهور المهدي و بعيد قوة الدين و يعم الخير الأرض في عهده^(١٩) .

أن ادعاء ابن تومرت بالمهدوية ، و قوله أن المهدي الذي يأتي آخر الزمان ، يتنافى آخر الأمر مع التوحيد الحق ، فإن الذين يقولون بإمكانية مجيء المهدي يفترضون إن الله سبحانه و تعالى يهديه من لدنه قوة لعمل المعجزات و الكرامات و معرفة الغيب و معرفة ما في الصدور ، و هذه كلها في نظر أهل التوحيد الصحيح صفات لا يتصف بها غير الخالق سبحانه^(٢٠) .

نلاحظ هنا أن الدكتور مؤنس يرفض ضمناً معجزات وكرامات الأنبياء (عليه السلام) و المعروفة لدى القاضي و الداني ، و هو يرفض وجود فكرة الإمام المهدي جملة و تفصيلاً ، و ينفية أيضاً ، ثم انه لم يوضح المصادر التي استقى منها معلوماته بشأن إن المهدي يعلم ما في الصدور ، و يبدو انه لم يطلع بشكل تفصيلي عما كتب عن المهدي المنتظر و أحاديث الرسول (ص) بهذا الشأن.

أن نظرية الإمام المهدي عند الشيعة الأثني عشرية، نقولها بكل وضوح : إن فكرة الإمام المهدي في نطاق العقيدة الدينية بغض النظر عن تفاصيلها ، موضع اتفاق جمهور المسلمين فان روايات المهدي و انتظار الفرج على يديه و ظهوره ليملاً الأرض عدلاً و قسطاً وردت عند كل من الشيعة و السنة . فقد رواها احمد بن حنبل في مسنده ، و الترمذي في سننه و أبو داود في سننه ، و ابن ماجه في سننه ، و الحاكم في مستدرکه ، و ابن حجر في القول المختصر في علامات المهدي المنتظر ، و في البخاري و مسلم و غيرهم .

أن فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت في أحاديث الرسول (صلى الله عليه و اله و سلم) ، و أكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك و قد أحصي أربعمئة حديث عن النبي (صلى الله عليه و اله) في الإمام المهدي من طريق أهل السنة^(٢١) . فأين استاذنا مؤنس من هذا العدد . إما تجسيد هذه أفكاره في الإمام الثاني عشر (عليه السلام) فهذا ما توجد مبررات كافية و واضحة للاقتناع به . و يمكن تلخيص هذه المبررات في دليلين : الأول إسلامي و يتمثل في مئات الروايات عن الرسول (صلى الله عليه و اله) و التي تدل على تعيين المهدي و كونه من أهل البيت و من ولد فاطمة^(٢٢) . و من ذرية الحسين (عليه السلام)^(٢٣) .

و هذا يفي ما وضع المهدي بن تومرت نسبه إلى الإمام الحسن (عليه السلام) و ادعى انه المهدي المنتظر .

أما الدليل العلمي ، فيتكون من تجربة عاشتها امة من الناس في فترة امتدت سبعين سنة تقريباً ، و هي فترة الغيبة الصغرى ، و قد شغل مركز النيابة عن الإمام في هذه الفترة أربعة ممن أجمعت عليهم القواعد الشعبية على تقواهم و ورعهم و نزاهتهم ، فهل نتصور إن بإمكان كذوبة إن تعيش سبعين عاماً و يمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتفقون عليها ، و يظنون يتعاملون على أساسها و كأنها قضية يعيشونها بأنفسهم و يرونها بأعينهم ، دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشك، و دون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ ، و يكسبون

من خلال ما يتصف سلوكهم من واقعيه ثقة الجميع و إيمانهم بواقعية القضية التي يدعون ، أنهم يحسونها و يعيشون معها^(٢٤).

كان رأي ابن تومرت القول بعصمة الأمام علي (عليية السلام) على رأي الإمامية^(٢٥). ولم تحفظ عنه فلتة في البدع سواها^(٢٦). أن قول ابن تومرت بالإمامة و العصمة هي التمكين لنفسه بين البربر و إيهامهم بأنه ينطق عن وحى الهي علوي ، وبأنه معصوم عن الخطأ ، فلا يجوز نقده أو معارضته^(٢٧). وإذا قرأنا كتابه المسمى ((اعز ما يطلب)) وهو أحسن ما كتب و عنوانه مشتق من أول عبارة فيه ، وتتخلص في اعز ما يطلب وهو العلم بالدين وأصوله و شريعته وإحكامه . وجدنا في هذا الخطاب خليطاً من آراء أهل السنة وأفكار غلاة الشيعة الذين يقولون بعصمة الإمام وضرورة طاعته طاعة كاملة وتنفيذ كل ما يأمر به دون مسائلة ، وفيه كذلك أفكار صوفية متطرفة لا يقبلها فقهاء أهل السنة والجماعة^(٢٨).

ويبدو إن أستاذنا حسين مؤنس ، يجهل تماماً بالفكر الشيعي ، و هو يردد ما كتبه الآخرون ، ولو اطلع على الفكر الشيعي، لوجد جميعهم يقولون بعصمة الأمام وليس غلاتهم . ثم ما هذا القطع التام في حكمك ، وإنك رجل غير متخصص بالعلوم الدينية ، ويبدو أن الناصري صاحب الاستقصا على نفس الشاكلة . و سنوضح رأينا في العصمة على رأي الشيعة الإمامية.

العصمة في اللغة : هي المنع و منه قوله تعالى ((سأوي إلى جبل يعصمني من الماء))^(٢٩). أما في الاصطلاح ، فالعصمة لطف يفعله الله تعالى بالمكلف لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة و ارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك^(٣٠). و واضح من التعريف أن العصمة لا إلقاء فيها و إنما هي مجرد مدد من الله سبحانه وتعالى ، و استعداد من العبد ، فهي أشبه شيء ، بأستاذ يقبل على تلميذه لأنه وجد عند التلميذ استعداداً أكثر من غيره لتلقي العلم . ويعتقد الشيعة أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل و الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سن الطفولة إلى الموت ، عمداً و سهواً ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو و الخطأ و النسيان ، لأن الأئمة حفظة الشرع و القوامون عليه ، حالهم في ذلك حال النبي ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق^(٣١). والدليل على وجوب عصمة الأنبياء ، انه لو جاز إن يفعل النبي المعصية أو يخطأ وينسى ، و صدر منه شيء من هذا القبيل ، فأما أن يجب أتباعه في فعله الصادر منه عصياناً أو خطأ ، أو لا يجب ، فإن وجب أتباعه فقد جوزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى بل أوجبنا ذلك ، وهذا باطل بضرورة الدين و العقل و أن لم يجب أتباعه فذلك ينافي النبوة التي لا بد أن تقترب بوجوب الطاعة أبداً . أما علم الإمام ، فإنه يتلقى المعارف و الأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الأمام من قبله ، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله عز وجل فيه . وقد أثبتت الأبحاث النفسية أن كل إنسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الأشياء عن طريق الحدس الذي هو فرع من الإلهام بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك^(٣٢).

و نقول إلى الذين يتخرصون بدون علم و يرددون ما منشور بكتب ليست على اطلاع بمذهب الأئمة الاثني عشر ، عليهم أن يراجعوا كتب الشيعة ، و أن يكونوا منصفين و لا يفترون عليهم بغير حق . و للأسف فإن الدكتور مؤنس ، وهو مؤرخ كبير ، لم يطلع على كتب الشيعة الإثني عشرية ، ويحكم ويجرح ، وينسب عليهم أشياء غير موجودة فيهم و ادعوه لمطالعة كتب الشيعة ، وان يحترم الرأي و الرأي الآخر .

الادعاءات بعصمت ابن تومرت

هناك خلط لدى المؤرخين في معنى العصمة التي فصلنا فيها في ثنايا البحث ، و بين الكرامات التي يهبها الله لشخص تكون عبادته و طاعته خالصة لله تعالى ، لأن الباري يقول ، عبيد اطعني تكون مثلي تقل للشيء كن فيكون . و سنورد روايتين من بين الروايات الكثيرة التي اعتبرت المهدي بن تومرت معصوم ، وهي ليست كذلك ، لكن أن صحت فأنها كرامات لرجل ملتزم بالدين .

ركب ابن تومرت في سفينة من الإسكندرية يريد بلاد المغرب ، فرأى في المركب خمراً فأراقه ، فصاح عليه صاحب الخمر و شتمه ووضع يده فيه ، فاجتمع أهل المركب إليه و رغبوه حتى سكت . ثم حضر وقت الصلاة فأمرهم بالصلاة فلم يلتفتوا إليه ، فشد عليهم ، فغضبوا و هموا بإلقائه من السفينة ، فهال عليهم البحر و كادوا يغرقون ، فقام إليهم رجل حاج فقال لهم : تداركوا أنفسكم بإرضاء هذا الرجل لعل الله يفرج عنكم ، فأقبلوا نحوه متضرعين راغبين ، فقال لهم ابن تومرت : صلوا فتوضوا وصلوا . فكشف الله تعالى عنهم ما بهم ، و جرت السفينة بريح طيبة ، فصاروا يطلون منه الدعاء كل يوم^(٣٤).

ولا ندري هل صلى شاربو الخمر معه ؟

عندما دخل ابن تومرت مدينة بجاية لقي بها الصبيان في زي النساء بالظافر و الزينة ، ولقى الأراذل قد فتنوا بذلك و انهمكوا ، ثم رأى احتفالاً فيه إختلاط الرجال بالنساء و الصبيان بالزينة و متكلمين فزجرهم فوقعت لأجل ذلك نفرة استطال فيها الشر ، و سلب فيها النساء حليها وقامت الفوضى فسأل العزيز بن المنصور الناصر ، عامل بجاية عن سبب هذه الفوضى ، فعرف أن لاسبب غير الفقيه ابن تومرت . و وجد المشنعون سبيلاً إلى القول فيه ، فقالوا وأوغلوا قلب العزيز ، فأمر الأخير بجمع الطلبة لمناظرته في جرأته على الملوك . فاجتمعوا في دار اقدمهم و احتفلوا في أعداد الطعام و الشراب و وجهوا إلى ابن تومرت إلى المسجد الذي كان يحل فيه فامتنع من الوصول إليهم

. فوجهوا إليه الكاتب عمر بن فلول ، فلاصقة و اقسام عليّة ، و تضرع إليه حتى أسعفهم فوصل إليهم فناظروه و سألوه فأجابهم و أسكتهم ، ثم سألهم فما أجابوا ، ولاطفه ابن فلول عند ذلك يراوده على ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر (٣٥) .
ونتساءل هنا أين العصمة في ذلك .

أكاذيب و افتراءات ابن تومرت

أراد ابن تومرت تحقيق أحلامه وأيمان الناس بأفكاره ، فعمد إلى الاتفاق مع عدد من أصحابه، القيام بتمثيل ادوار معينة لكل واحد منهم فوافقوه على ذلك وكل هذه الأدوار افتراءيه و كاذبة كان القصد منها إشهار مذهبه وأفكاره مما دفع الناس للإيمان به كمهدي لهذه الأمة أولاً ، ودفعهم لإسقاط دولة المرابطين ثانياً . و سورد عدد من هذه الأكاذيب .

ينقل لنا بروفنسال رواية عن البيدق-رفيق ابن تومرت وخادمه- ، أن المهدي اخذ عبد المؤمن ليلاً وسارا ، وعند منتصف الليل ، نادى المهدي البيدق ، وطلب منه الكتاب الموجود في الوعاء الأحمر . وعند إحضار الكتاب طلب منه أن يسرج لهم السراج ، فقرأ المهدي الكتاب على عبد المؤمن ، و البيدق حامل ذلك السراج و سمعه يقول ((لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين إلا بعبد المؤمن بن علي ، سراج الموحدين . فبكى الخليفة عند سماع هذا القول ، وقال : يا فقيه ما كنت في شيء من هذا ، وإنما أنا رجل أريد ما يطهرني من ذنوبي . فقال له المعصوم : إنما تطهيرك من ذنوبك صلاح الدنيا على يديك ، ثم دفع له الكتاب وقال طوبى لأقوام كنت أنت مقدمهم ، وويل لقوم خالفوك أولهم و آخرهم . أكثر من ذكر الله ببارك الله لك في عمرك و يهديك و يعصمك مما تخاف و تحذر)) (٣٦) .
كان عبد الله الونشريشي صاحب المهدي ، ممن تهذب وقرأ فقهاً ، وكان فصيحاً في اللغة العربية و لغة أهل المغرب . فتحدث الاثنان عن كيفية الوصول إلى الهدف الذي يرومه ابن تومرت فقال له : أرى أن تستر ما أنت عليه من الفضل و تظهر من العجز و اللكن والحصر و التعري عن الفضل ، ما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك و اكتساب العلم و الفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليها فنصدق فيما نقول ففعل عبد الله ذلك (٣٧) . وفي إحدى أيام سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م ، خرج ابن تومرت لصلاة الصبح ، فشهد إلى جانب محرابه أسناناً طيب الرائحة ، فأظهر عدم معرفته به ، فسأل من هذا فأجاب انه الونشريشي ، فقال له : أن أمرك لعجيب ثم صلى ، ولما فرغ منها نادى في الجبل فاجتمع الناس إليه ، فقال لهم : أن هذا الرجل يزعم أنه الونشريشي ، فناظروه و حققوا في أمره فلما أضاء النهار عرفوه ، فقال له المهدي : ما قصتك ؟ فقال بلسان فصيح ((أني رأيت البارحة في منامي انه نزل الي ملكان من السماء فشقا فؤادي و غسلاه وحشواه علماً وحكمة وقرآن)) (٣٨) . فعجب الناس من ذلك . وقال له المهدي نمتحك فقال له افعل .. فقال له ابن تومرت ((فعجل لنا بالبشرى في أنفسنا ، و عرفنا أسعداء نحن أم أشقياء)) (٣٩) . ثم قال له ابن تومرت أن يقرأ القرآن فقرأه قراءة حسنة من أي موضع سئل ، فضلاً عن كتب الفقه و العلوم و الأصول ، فعجب الناس من ذلك واستعظموه . وقال له الونشريشي : أن الله أعطاني نورا أميز فيه أهل الجنة من أهل النار ، وأمركم أن تقتلوا أهل النار . و أن الله تعالى انزل ملائكته في بئر مسمى يشهدون صدقي . بعد كلامه سار المهدي و الناس معه إلى تلك البئر ، وعند وصولهم صلى المهدي و قال ((يا ملائكة الله أن عبد الله قد زعم كيت و كيت ، فسمع من أسفل البئر ، صدق صدق . وكان قد رتب رجالاً في البئر يفعلون ذلك فلما تكلموا قال المهدي ، أن هذه البئر ، بئر مطهره مقدسة و قد نزل إليها الملائكة و المصلحة تردم لئلا يقع فيها نجاسه ففعلوا)) (٤٠)

نادى ابن تومرت في أهل الجبل الحضور إلى ذلك المكان للتمييز ، فكان الونشريشي يعمد إلى الرجل الذي يخاف ناحيته، و يقول هذا من أهل النار ، فيلقى من الجبل مقتولاً ، وهكذا حتى بلغ عدد القتلى سبعين الفاً (٤١) . وهناك رواية أخرى تقول أن ابن تومرت عمل هذا عندما شاهد كثرة المفسدين في الجبل ، فاستدعى شيوخ القبائل وأوضح لهم الأمر ، وطالبهم بأن ينهوا السيئين عن الفساد ، و الذي يمتنع و يستمر على هذا المنوال أن يكتبوا اسمه و يدفعوه إلى ابن تومرت ، ثم أعطى الأسماء إلى الونشريشي ، فسارت العملية كما ذكرنا (٤٢) . ونستشف من ذلك ، أن الإمام عندما يكون له جذر تاريخي و ارتباط نسبي بالرسالة يكون إحساسه بالانتماء و شعوره بالمسؤولية تجاهها ، متجذراً بدرجة عالية جداً ، وذلك حينما يرى في نفسه فرعاً في شجرة أصيلة تمتد في جذورها الرسالية عبر القرون في التاريخ الرسالي و الإنساني ، وتمده بالعزم و الإرادة و الصبر و الصمود و القدرة على تحمل المحن و الشدائد . لا افتراءات و أكاذيب رخيصة للوصول إلى الجاه و السلطة ، واستغلال البسطاء من الناس بالتصديق كما فعل ابن تومرت ، عندما دفعت مجاميع كثيرة نفسها فداءً له في قتال المرابطين . فعظم مقتل هؤلاء على قبائلهم ، فأحتال المهدي بن تومرت كعادته ، و اختار مجموعة من المقربين له و وعدهم في حال القيام بما يأمرهم به كانت لهم منزلة عالية عنده . و طلب منهم دفنهم أحياء في موضع المعركة و يجعل لكل منهم متنفساً في قبره و عند مجيء قومهم ويسألونهم عن حالهم يقولون ، أن ما وعدهم ربهم هو الحق . و كان القصد من ذلك أن يثبت قومه على التمسك بدعواه ، و يهون عليهم ما لا قوا من القتل و الجراحات بسببه (٤٣) .

أخذ ابن تومرت الناس إلى موضع المعركة ، وطلب منهم أن يسألوا القتلى ، وأوضح لهم بأنهم سوف يجيبوهم بما لا قوا من الثواب عند الله تعالى . ثم نادى ابن تومرت ! يا معشر الشهداء ماذا لقيتم من الله عز وجل . فأجاب الذين وضعهم ابن تومرت في القبور ((قد أعطانا من الثواب ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر بقلب

بشر)) فضن الناس بان الموتى قد كلموهم ، ونشروا هذه الدعاية بين الناس ، فازدادوا تمسكاً وثباتاً على رأي ابن تومرت^(٤٤).

هل سار خلفاء ابن تومرت على منهجه

من خلال البحث أتضح لنا ، أن الدولة الموحدية أسست وفق المفاهيم المهدوية لابن تومرت ، وان هذه المفاهيم سواءً كانت حقيقية أم افتراءات ، فإنها وثقت والأواصر وجمعت كلمة الموحدين القلبية والعقيدية حول إمامة واحدة ، فلما تحولت الإمامة إلى خلافة دنيوية وإنحصرت في بني عبد المؤمن بن علي ، ضعفت الأواصر العقيدية التي كانت توثق بين الزعامة الموحدية . ولم يبد الخلفاء الموحدون من بعد عبد المؤمن أية حماسة ظاهرة في تمجيد الإمامة المهدوية^(٤٥) . وسنفضل في مدى التزام الخلفاء بعد ابن تومرت الذي توفي سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠ م ، بعد أن أوصى لعبد المؤمن بالخلافة ، بعد خسارة الموحدين في معركة حصار مراکش فقال ((ما مات احد و الأمر قائم ، و هو الذي يفتح كل البلاد ، ووصى أصحابه بتقديمه و أتباعه و تسليم الأمر إليه و الانقياد له و لقبه بأمر المؤمنين))^(٤٦).

كان عبد المؤمن بن علي يؤمن أيماناً تاماً بان محمد بن تومرت هو الإمام المهدي المنتظر المعصوم ، الذي يبعثه الله تعالى من اجل إنقاذ الإسلام و قيادته نحو شاطئ السلامة . فقد اعتبر نفسه الخليفة الذي أوصى به ابن تومرت . و يذكر النويري عن ابن شداد قوله : وقفت على كتاب كتبه عنه بعض كتابه يقول فيه بعد البسمة ((من الخليفة المعصوم الرضي الهاشمي الزكي الذي وردت البشارة به من النبي (صبي الله عليه وسلم) ، العربي ، القامع لكل مجسم غوي ، الناصر لدين الله العلي أمير المؤمنين الولي عبد المؤمن بن علي))^(٤٧).

و نلاحظ من ذلك أن عبد المؤمن بن علي ، وهو من البربر ، قد جعل له نسب يتصل بالإمام علي (عليه السلام) . اهتم عبد المؤمن بن علي ببناء المساجد والمكاتب القرآنية ، وأمر بإحراق كتب الفروع التي امتلأت جداراً ومناقشات فارغة ، داعياً إلى التمسك بالقرآن الكريم والسنة^(٤٨) . وجرى التعليم في عهد الموحدين على الطريقة التقليدية في المكاتب والمساجد ، إذ يبدأ الطالب بحفظ القرآن الكريم ثم يدرس مبادئ الدين ويتدرج بعد ذلك في دراسة العلوم التي يميل إليها ، وقد سلكوا نوعاً من التعليم الإجباري ، إذ كان لا يستحق عندهم الدخول في مذهبهم إلا من درس عقائد المهدي إلى جانب أحاديث في الجهاد والقرآن الكريم^(٤٩).

سار الموحدون أول أمرهم على سياسة إمامهم محمد بن تومرت في مكافحة الغناء والطرب ، لأنها من مسرات الحياة واللهو . وكان عبد المؤمن عزوفاً عن متعة الحياة . وأصبحت مجالس الغناء و الموسيقى تعقد في قصور الحكام والأمراء مما دفع عبد المؤمن بن علي إلى إصدار منشور سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٦٠ م ، يتضمن عدة أوامر لمحاربة أصحاب الملاهي و مصادرة آلاتهم^(٥٠) . وأمر ولاته بالكشف عن التلصص في مكان الريب و الغواية و الاجتماع على السيرة الجاهلية ، والملاهي على فنونها وما يتبعه من المنكرات الناشئة عن أهل الجهالة^(٥١) . ومن الجدير بالذكر هنا أن عبد المؤمن كان نزيه النفس ، شديد الملوكية كأنه ورثها كابر عن كابر ، ولا يرضى إلا بمعالي الأمور و عندما نزل مراکش اخذ في البناء و الغرسة و ترتيب القصور^(٥٢).

بادر عبد المؤمن إلى انتزاع الحكم من أهل السوس ، قوم إمامه ابن تومرت فقام بجلب قومه واجتهد في تهذيبهم وتنشأ تهم وجعل نحو ثلاثة آلاف شاب من أذكيا قبيلة المصامدة وغيرها ، ممن اختارهم من أذكيا المغرب ، حتى علموا و حذقوا الفنون و الأدب ، ثم عرضهم على الشيوخ الموجودين وقال لهم : العلماء أولى منكم في الأمر أيها الشيوخ . فتخلى الشيوخ عن مناصبهم إلى هؤلاء الشباب^(٥٣). وهذا أول خروج على تعاليم إمامه ابن تومرت .

اختلفت الروايات التاريخية بشأن ولاية عهد عبد المؤمن لأولاده . ففي رواية انه عزل خليفته أبا حفص عمر الهنتاني عن ولاية العهد وجعلها في ابنه محمد ، ثم قدم عليه أخاه أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن^(٥٤) . في حين تذكر رواية أخرى ، انه قد عهد في حياته إلى اكبر أولاده محمد فبايعه الناس وكتب ببعته إلى البلاد . لكن الأمر لم يتم لمحمد بعد وفاة أبيه ، لما كان عليه من أمور لا تصلح معها الخلافة ، من إدمانه على شرب الخمر ، واختلال الرأي . ولما مات عبد المؤمن اضطرب أمر محمد هذا ، واختلف عليه فكانت ولايته إلى أن خلع خمسا وأربعين يوماً^(٥٥).

وهذا يعني أن عبد المؤمن جعل الحكم وراثياً بين أبناءه وهذا مخالف لرأي ابن تومرت ، الذي يستطيع أن يجعلها في احد أقرباءه . والخروج الآخر على ابن تومرت ، هو شرب الخمر من قبل ابن الخليفة و إدمانه عليه وعدم محاسبته و فق الأمر الشرعي من قبل عبد المؤمن ، وهذه أدلة على عدم التزام أو إيمان الخليفة بالمذهب التومرتي . ومن اجل أحكام السيطرة على السلطة ، عين عبد المؤمن أولاده الآخرين ولاة لأقاليم الدولة الموحدية ، وهذا يتناقض مع مبادئ الدعوة الموحدية التي قامت على الشورى^(٥٦).

التحق بعبد المؤمن نحو الأربعين ألف فارس من قومه فنزلوا عليه سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م . وهكذا بقي يعمل على تقديم ذويه و أقاربه في الحكم حتى تم لهم الأمر في النهاية^(٥٧) . ومنه صار التفريق و الذي تمت المحافظة عليه بين جماعتين من الطبقة الحاكمة : أعضاء أسرة الخليفة الذين اتخذوا لقب السادة . و الموحدون و خاصة أسرة أبو حفص الهنتاني الذين منحوا لقب الشيوخ^(٥٨).

لنعد قليلاً إلى دولة المرابطين لمناقشة أمر غاية في الأهمية ، وهو موقف الدولتين المرابطية و الموحدية تجاه الديانات الأخرى . ففي دولة المرابطين ، لم يقتصر أمر النصارى على دفع الجزية . فقد أفتى الفقهاء بهدم كنيسة للمعاهدين بغرناطه ، فأرسل يوسف بن تاشفين من هدمها ، وليس من شك في أن سيطرة فقهاء مذهب مالك على الشؤون العامة في البلاد وخضوع الأمراء لرايهم و عملهم وفق مشورتهم ، قد نشر جواً من المغالاة و التشدد في معاملة أهل الكتاب . وطالب المسلمون في عهد المرابطين ، اليهود الدخول في الإسلام وفاء للوعد الذي وعد به أجدادهم من قبل مستندين إلى حديث منسوب للرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول بان اليهود قد تعهدوا بأن يعتنقوا الإسلام إذا مرت خمسة قرون دون أن يظهر مسيحيهم المنتظر^(٩١) . وكان علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين قد أصدر أمر بان اليهود لا يسكنون مدينة مراكش ، ولا يدخلوها إلا نهاراً و ينصرفون عنها مساءً ، وليس دخولهم أليها في النهار إلا لأمر له وخدم تختص به . ومتى عثر على واحد منهم بقي في المدينة استباح ماله ودمه ، فكانوا يخافون المبيت في مراكش خوفاً على أموالهم و أنفسهم^(٩٢) . أما الموحدون فقد جرت حملتهم على توحيد البلاد المغربية و جمع كلمة أهلها ، فكان لا بد لأساسة الوحدة و دعائها من القضاء على كل من يداخلهم في وجوده شك أو يضمنون به الظنون ، ممن يستطيع أفساد خطتهم أو نقض سياستهم من العناصر الباقية على اليهودية من البربر و غيرهم اللاندين بالمواقع الطبيعية و الحصون والمعقل ، فشدوا عليهم جميعاً و تبعوا جموعهم و أبادوا منهم . ولما وصلت جيوش عبد المؤمن بن علي إلى تونس ، عرض الإسلام على من بها من النصارى و اليهود ، وأمر بقتل كل متمتع من اعتناقه^(٩٣) .

يبرر الدكتور عبد الله علي علام ، أن عبد المؤمن بن علي عمل هذا الأمر ، و استند فيها إلى سياسة ابن تومرت القائمة على أصول الشيعة^(٩٤) .

ونحن نسأل علام ، هل اتبع ابن تومرت مذهب الشيعة في سياسته ، ام اخذ منه فكرة المهدي و العصمة و باتفاق جميع المؤرخين ، وانه خلط بين المذاهب جميعها و نسأله أيضاً ، هل أن الدول الإسلامية التي قامت في المشرق و المغرب الإسلامي ، قد التزمت حرفياً بروح الإسلام و تعاليمه . فإذا تنظر إلى الدولة الفاطمية و الادارسة فأنهم لا يمثلون كل الشيعة ، وأؤكد لك بان الشيعة لا يجوزون قتل أهل الذمة الذين ليس لديهم كتاب بدون ذنب يوجب القتل فكيف يجوزوه على أهل الكتاب، وانك لا تذكر مصادرك التي تبين الشيعة يجوزون قتل اليهود و النصارى الذين لا يدخلون في الدين الإسلامي ، وأعتقد لا تستطيع أن تأتي بأي مصدر شيعي يحلل ذلك .

الحقيقة أن هذا العمل جاء نتيجة لتطورات الأوضاع في بلاد الأندلس و اختلاف الحكام من أمويين إلى ملوك طوائف و مرابطين و موحدين ، و ظهور مثل ذلك في المغربيين الأدنى و الأقصى من تزام الحكام و اختلافهم على البلاد ، جعلها تعيش مراحل فتوحات لا تنقطع و ثورات لا تهدأ ، وأفضى ذلك أن يعيش الناس على أهبة الجهاد و تحمل المسؤوليات ، وفي حذر من كل طارئ يطرا يتحمل تبعاته اليهود المعروفة مواقفهم و على مر التاريخ الإسلامي بالغدر . ولا نظن أن شدة الموحدون عليهم يرجع إلى سبب ديني أو عداة عقائدي و إنما سببه غدرهم و نكثهم لليهود و الموائيق^(٩٥) .

في عهد الخليفة الموحد المنصور (٥٨٠-٥٩٥ هـ / ١١٨٤ - ١١٩٩ م) فقد أحدث هذا انقلاباً في سياسة المذهب و العقيدة في دولته فقد طارد علم الفروع الذي يعني بتفاصيل العبادات و المعاملات ، وأمر بإحراق كتب المذهب المالكي في سائر البلاد ، مثل مدونة سحنون الفقيه المالكي المتوفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٥٨ م ، وكتاب ابن يونس ، و نوادر ابن أبي زيد الفقيهان المالكيان . كما أمر المنصور الناس بترك الأخذ بعلم الرأي و الخوض فيه ، وأمر جماعة من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة في الصلاة و ما يتعلق بها ، على نحو المجموعة التي جمعها ابن تومرت في الطهارة ، و انتشرت هذه المجموعة في المغرب و يقول المراكشي ((لقد شهدت منها يعني كتب المذهب المالكي - و أنا يومئذ في مدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع و يطلق فيها النار ، و تقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي و الخوض في شيء منه ، و توعده ذلك بالعقوبة الشديدة))^(٩٦) . وكان القصد من ذلك امحاء مذهب الإمام مالك من المغرب بأجمعه^(٩٧) .

بعد عودته من الأندلس ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، نشط المنصور في مطاردة مظاهر الفساد التي بدأت في حاضرة ألدوله الموحدية ، وكان الناس قد انغمسوا في ضرب اللهو و المذات ، فراجت سوق الخمر و القيان و الغانيات ، فأمر بإراقة الخمر في كل مكان ، و نفذت أوامره إلى سائر البلاد ، و تم إنذار المخالفون بعقاب الموت . وبعث المنصور برسالة إلى الطلبة في رمضان ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، يأمرهم فيها بمطاردة شراب الرب و هو مسكر معروف ، و قطعه نهائياً و منع بيعه و إغلاق حوانيته و أراقه ما يوجد منه و إيقاف أشد العقوبات على من يقتنيه^(٩٨) .

رفع المنصور راية الجهاد و نصب ميزان العدل ، و أقام الحدود حتى في أهله و عشيرته ، وأمر بقراءة البسملة في أول سورة الفاتحة في الصلوات . وشد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمسة ، و قتل في بعض الأحيان على شرب الخمر ، وكان يعاقب على ترك الصلاة ، و يأمر النداء في الأسواق المبادرة إلى الصلاة ، فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيراً بليغاً^(٩٩) .

منع المنصور الموحدون وكبار رجال الدولة عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م ، من لبس الملابس الحريرية ألمطرزه و الديباج الموشى الغالي الثمن ، و منع النساء من لبس الثياب الاحتفالية^(١٠٠) . ثم حمل الناس على الظاهر من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف ، وكان هذا الأمر ما كان يرمي إليه أبيه و جدّه عبد المؤمن ، إلا أنهما لم يظهره و أظهره المنصور^(١٠١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل اظهر المنصور حماسة في تمجيد الإمامة المهديية ؟ و الجواب ،انه كان يبدي رغبة في صحة إمامة المهدي وفي عصمته . لكنه لم يكن يجراً على أن يحدث أي تغيير ظاهر في رسوم الإمامة المهديية^(٧٠) . والدليل على ذلك ، انه خرج الى تينملل مركز إمامة ابن تومرت ، للزيارة ومعه نفر من الأتراك الغز ففقدوا تحت شجرة خروب مقابلة للمسجد ، وكان ابن تومرت قد قال لأصحابه ليصرن منكم من طالت حياته أمراء أهل مصر مستظلين بهذه الشجرة قاعدين تحتها . فلما جلس الغز على الصفة المتقدمة تحتها ، كان ذلك في تينملل يوماً عظيماً ، اتصل بالتكبير من كل جهة ، وجاءت النساء يولون و يضرين بالدخوف ويقلن بلسانهن! صدق مولانا المهدي ، تشهد انه الإمام حقاً . فأبتسم المنصور حينما رأى ذلك استخفافاً لعقولهم ، لأنه لا يرى شيئاً من هذا كله^(٧١) .

أخذ المنصور ينتقد مبادئ المهديية و يعلن عدم اعترافه بالعصمة و الإمامة ، فأحدثت هذه الآراء دويماً هائلاً . ويروي المراكشي ، أن الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم المزي ، أن المنصور قال له وهم بحجر الكعبة اشهد لي بين يدي الله عز وجل ، أني لا أقول بالعصمة يعني عصمة ابن تومرت . قال وقال لي يوماً وقد استأذنته في فعل شيء يفتقر إلى وجود الإمام : يا أبا العباس أين الإمام؟^(٧٢)

لم يتحرج الموحدون في اتخاذ بعض النصارى حجاباً وحراساً لهم ، فحاجب المنصور اسمه ريجان ، و كذلك استخدمهم الموحدون في الجيش ، ومن أشهرهم أبو الحسن علي بن الربير ، الذي اعتنق الإسلام^(٧٣) . وقام المنصور بتمييز اليهود الذين اسلموا في الملابس لأنه شك في إسلامهم^(٧٤) .

أبدى الخلفاء الموحدون عناية بالماذاهب الكلامية بقدر ما كانت تسمح به الظروف السياسية ، فاعتنوا بالعلوم العقلية حتى اتيح للفلسفة أن تزدهر في قصورهم^(٧٥) .

قام إدريس المأمون الخليفة الموحد (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ / ١٢٢٨ - ١٢٣٢ م) بثورة عنيفة في أصول العقيدة الموحدية ، وكانت في رأسه أفكار ومشاريع عظيمة نحو تجديد هذه الدولة و تجديد رسومها و تعاليمها بعد أن أصبحت في نظرة بالية وقديمة ، و عند دخوله مدينة مراكش و بايعه الموحدون ، صعد المنبر بجامع المنصور ، وخطب الناس و لعن المهدي بن تومرت وقال : لا تدعوه بالمهدي المعصوم و ادعوه بالغوي الذميمة . ألا لامهدي الاعيسى (٧٦) . بعدها كتب الى سائر بلادهم بمحو اسم المهدي من الخطبة و السكة و تغيير سننه التي ابتدئها للموحدون و جرى عليها سلفهم ، و أمر بتدوير الدراهم التي ضربها المهدي مربعه . وقال ، كل ما فعله المهدي و تابعه عليه أسلافنا فهو بدعة و لا سبيل إلى إبقائها^(٧٧) .

وبعد وفاة المأمون و اعتلاء ابنه الرشيد سدة الحكم (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ) ، بعث الموحدون إليه رسولين منهم ، فاستقبلهم بالترحيب و التكريم ، و أبدى الرسولان للخليفة شروط الموحدون للعودة ، وهي إعادة ما نسخة أبوه المأمون من رسوم الإمام المهدي ، وذلك بإعادة اسمه في الخطبة و نقشه في السكة و إعادة الدعاء له بعد الصلاة . فوعد الرشيد بتحقيق مطالبهم . وبعد فترة بادر بتنفيذ ما وعد به و أعيدت رسوم المهدي كما كانت قبل إلغائها ، فاستمال بذلك قلوب جماعته و تحيب لهم^(٧٨) .

مال السكان أواخر عصر الموحدون إلى الأخذ بأسباب اللهو ، فشاع الطرب و الغناء في بلاط الملوك ، و بين طبقات المجتمع على حد سواء ، و شاركت النساء في ذلك أيضاً ، وهكذا فقد احل الموحدون ما حرموه أو نقموه على المرابطين قبلهم^(٧٩) .

ومن تقدم فان الخلفاء الموحدون وعلى رأسهم عبد المؤمن ، لم يؤمنوا بعصمة ابن تومرت و إمامته ، و بدعوا تدريجياً بإزالتها و عدم الاهتمام بها و بتعاليمها .

الهوامش

- ١- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٩ م) تاريخ ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطباعة بيروت، ١٩٧٩، ج٦، ص ٢٢٨ ، محمود، حسن احمد، قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت، ص ٣٣٩ .
- ٢- ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٤ م) ، وفيات الأعيان و إنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ج ٦ ص ٤٠٣ ، الناصري ، الشيخ أبو العباس احمد بن خالد ، الاستقصا لأخبار دولة المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر و محمد الناصري ، دار الكتب ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ، ج ٢ ص ٧٨ .
- ٣- ابن القطان ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م) نظم الجمان ، تحقيق محمود علي مكي ، المطبعة المهديية ، تطوان ، د.ت، ص ٣٤ .
- ٤- عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) ، المعجب من تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان مطابع شركة الإعلانات المصرية ، ألقاهره ، ١٩٦٣ ، ص ٢٤٧ .
- ٥- المصدر السابق ، ص ٢٤٨ .
- ٦- الإسلام في المغرب و الأندلس : ترجمة السيد عبد العزيز سالم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٢٧٧ .

- ٧- ابن خلدون ، التاريخ ، ج ٦ ص ٢٧٧ .
- ٨- المصدر السابق ، ج ٦ ص ٢٢٧-٢٢٨ ، الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت ٨٩٤ هـ/١٤٩٦ م) ، تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة تونس ، ١٩٦٦ ، ط ١ ، ص .
- ٩- سورة القصص : ٢٠ .
- ١٠- ابن أبي دينار ، أبو عبد الله محمد بن القاسم القيرواني (ت ١١١٠ هـ/١٦٩٨ م) ، المؤنس في إخبار أفريقيا و تونس ، تحقيق محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ١٩٦٧ ، ط ٣ ، ص ١١٢ .
- ١١- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٨ ، العروي ، عبد الله ، تاريخ المغرب ، ترجمة ذوقان قرطوط ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، د.ت، ص ١٧٩ .
- ١٢- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٩ .
- ١٣- العلوي ، إسماعيل بن محمد بن رشيد ، جلاء الظلام الدامس في موجز تاريخ المغرب إلى عصر محمد الخامس ، مطبعة فضالة ، الرباط ، ١٩٥٧ م) ، ص ٥٠ .
- ١٤- نظم الجمان ، ص ٧٦-٧٥ .
- ١٥- ابن الخطيب لسان الدين (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٩ م) ، أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، تحقيق احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتب ، الدار البيضاء ١٩٦٤ ، ق ٣ ص ٢٦٩ .
- ١٦- ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ١١٣ .
- ١٧- مؤنس ، حسين ، عقد البيعة بولاية العهد للخليفة الناصر الموحي ، بحث منشور ، مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، مطبعة جامعة فؤاد ، ١٩٥٠ م ، ج ١٢ ص ٢ ص ١٥ .
- ١٨- العروي ، تاريخ المغرب ، ص ١٧٦ ، أبو ضيف ، احمد مصطفى ، اثر القبائل العربية خلال عصر الموحيين و بني مرين ، بلا ، ١٩٨٣ م ، ص ٦٧ .
- ١٩- تورنو ، روجي لي ، حركة الموحيين في المغرب ، ترجمة ، أمين الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٢ م ، ص ٣٤ .
- ٢٠- مؤنس ، حسين ، معالم التاريخ ، ص ١٨٤ .
- ٢١- الصدر ، محمد الباقر ، بحث حول المهدي ، دار التعارف ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ط ٦ ، ص ٤٩-٥٠ .
- ٢٢- المرجع السابق ، ص ٥١-٥٠-٤٩ .
- ٢٣- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩٤٨ هـ / ١٦٥٠ م) ، الحاوي للفتاوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د ت ، ج ٢ ص ٢١٣ .
- ٢٤- الصدر ، بحث حول المهدي ، ص ٥٧ ، ٥٤ .
- ٢٥- ابن خلدون ، التاريخ ، ج ٦ ص ٢٢٦ .
- ٢٦- الناصري ، الاستقصاء ، ج ٢ ص ٨٠ .
- ٢٧- مؤنس ، حسين ، عقد البيعة ، ص ١٤٩ .
- ٢٨- مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، مطابع المستقبل ، ألقاهره ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٩ .
- ٢٩- سورة هود : ٤٣ .
- ٣٠- الجيلاني ، علي بن فضل الله ، توفيق التطبيق ، ألقاهره ، ١٩٥٤ ، ص ١٦ .
- ٣١- المظفر محمد رضا ، عقائد الأمامية ، دار التعارف بيروت ، ٢٠٠٣ ، ص ٦٥ .
- ٣٢- المرجع السابق ، ص ٥١ .
- ٣٣- المرجع نفسه ، ص ٦٥ .
- ٣٤- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٤٠-٣٩ ، بروفنسال ، الإسلام في المغرب ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .
- ٣٥- المصدر السابق ، ص ٤٢-٤١ .
- ٣٦- الإسلام في المغرب و الأندلس ، ص ٢٧٧ .
- ٣٧- الوزير السراج ، محمد بن محمد الأندلسي (ت ١١٤٩ م) ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، تونس ، ١٩٧٠ ، ج ١ ق ١ ص ٩٧٦ .
- ٣٨- ابن الأثير أبو الحسن عز الدين علي بن أبي أكرم (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ، الكامل في التاريخ ، تحقيق علي شيري دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ج ٩ ص ١٥٦ ، النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣١٢ م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق حسين نصار ، الهيئة العامة للكتاب ، ألقاهره ، ١٩٨٣ ، ج ٢٤ ص ٢٨٤ .
- ٣٩- الوزير السراج ، الحلل السندسية ، ج ١ ق ٤ ص ٩٨٤ ، الناصري ، الاستقصاء ، ج ٢ ص ٢٨٤ .
- ٤٠- المصدر السابق . ج ١ ق ٤ ص ٩٨٤ المصدر السابق ، ج ٢ ص ٢٨٤ .
- ٤١- ابن الأثير ، الكامل ج ٩ ص ١٥٨-١٥٦ ، النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٤ ص ٢٨٤ .
- ٤٢- المصدر السابق ، ج ٩ ص ١٥٨ ، المصدر السابق ، ج ٢٤ ص ٢٨٤ .

- ٤٣- ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٠٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٥٨-١٥٩ .
- ٤٤- الناصري ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٩٦ .
- ٤٥- عنان ، محمد عبد الله ، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ، مطبعة لجنة التأليف الترجمة و النشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، القسم الموحد ، ص ٥٧٦-٥٧٧ .
- ٤٦- ابن الأثير ، الكامل ، ج ٩ ، النويري ، نهاية الإرب ، ج ٢٤ ، ص ٢٨٦ .
- ٤٧- نهاية الإرب ، ج ٢٤ ، ص ٣١٨ .
- ٤٨- العلوي ، جلاء الظلام ، ص ٥٤ .
- ٤٩- حركات ، إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، دار السلمي ، الدار البيضاء ، ١٩٦٥ ، ج ١ ، ص ٣٦٨ .
- ٥٠- مالكي ، سليمان عبد الغني ، بعض ملامح الحياة الاجتماعية في مدينة مراكش في عصر المرابطين و الموحدين بحث منشور ، مجلة الدارة ، المغرب ، ١٩٨٦ ، ع ٣ لسنة ١٢ ، ص ١٨٥ .
- ٥١- محمود ، حسن احمد ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣٧ .
- ٥٢- المراكشي ، المعجب ، ص ٢٦٩-٢٩٦ .
- ٥٣- الجيلالي ، عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .
- ٥٤- الوزير السراج ، الحلل السندسية ، ص ٩٩١ .
- ٥٥- المراكشي ، المعجب ، ص ٣٠٦ .
- ٥٦- علام ، عبد الله علي ، الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي ، دار المعارف ألقاهره ، ١٩٧١ ، ص ٢٢٦ .
- ٥٧- الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .
- ٥٨- العروي ، تاريخ المغرب ، ص ١٨٣ .
- ٥٩- محمود ، حسن ، دولة المرابطين ، ص ٤١٩ .
- ٦٠- الشريف الإدريسي (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) ، المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تحقيق محمد صباح صادق ، بلا ، ١٩٨٣ ، ص ٨٦ .
- ٦١- ابن الخوجة ، محمد الحبيب ، يهود المغرب العربي ، معهد البحوث و الدراسات العربية ، بلا ، ١٩٧٣ ، ص ٢٤ .
- ٦٢- الدولة الموحدية ، ص ٢٤٢ .
- ٦٣- ابن الخوجة ، يهود المغرب ، ص ٢٤ .
- ٦٤- المعجب ، ص ٣٥٤-٣٥٥ ، عنان ، عصر المرابطين و الموحدين ، ص ٢٣٩ .
- ٦٥- المصدر السابق ، ص ٣٥٥ ، المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .
- ٦٦- عنان ، عصر المرابطين و الموحدين ، ص ١٤٢ .
- ٦٧- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ٤ .
- ٦٨- المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١١ .
- ٦٩- عنان ، عصر المرابطين و الموحدين ، ص ١٤٢ ، محمود ، حسن ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٣٩ .
- ٧٠- المراكشي ، المعجب ، ص ٣٥٥ ، الوزير السراج ، الحلل السندسية ، ص ١٠٠٥ .
- ٧١- عنان ، عصر المرابطين ، و الموحدين ، ص ٥٧٧ .
- ٧٢- المراكشي المعجب ، ص ٣٦٩ .
- ٧٣- محمود حسن ، قيام دولة المرابطين ، ص ٣٦٨ .
- ٧٤- المراكشي ، المعجب ، ص ٣٨٢ .
- ٧٥- العمراني ، عبد الله ، الموحدون و الحضارة ، بحث منشور ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، ١٩٦٥ ، ع ٢٤ ، السنة ٩ ، ص ٩٥ .
- ٧٦- الناصري ، الاستقصا ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .
- ٧٧- ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، الوزير السراج ، الحلل السندسية ، ص ١١٠٢ .
- ٧٨- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٦ ، ص ١٦ ، عنان عصر المرابطين و الموحدين ، ص ٥٠٢ .